جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الألفاظ المتفردة فى سياق الآيات الكونية فى جزء عم

الدكتور
كمال كامل محمود صالح الحداد

أستاذ البلاغة والنقد المساعد
فى كلية البنات الإسلامية بأسيوط

العدد الخامس عشر
للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
الجزء الثالث

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الهادي الأمين،وعلى آله وصحبه،ومن سار على نهجه إلى يوم الدين

وبعد،،،

فقد جعل الله كثيرا من آياته في كونه لتكون كتابا يرى فيه المتأمل الأدلة على وجود الله، وقدرته، وأمرنا بالنظر والتفكر في هذا الكون،فقال جل ذكره { أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الأعراف: ١٨٥]

وسبب اختيار الموضوع يرجع إلى:

إن القارئ لآيات القرآن الكريم يجد أن هناك بعض الألفاظ استخدمت لمرة واحدة في القرآن الكريم،ولم يتم تكرارها حتى وإن تكرر الموضوع الذي يرد فيه هذا اللفظ، إلا أن هذا اللفظ لم يتم تكراره،فكان هذا دافعي لمحاوله استكناه السر الكامن وراء هذا التعبير القرآني.

واخترت جزء عم : لأني وجدت في هذه الألفاظ المتفردة نوع من الحجاج الذي يدل على وجود الله سبحانه وتعالى وقدرته على تنظيم خلقه.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى عدة مباحث:

المبحث الأول :الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر السماء

المبحث الثاني: الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الأرض

المبحث الثالث: الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الليل

المبحث الرابع: الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الإنسان

المبحث الخامس: الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الطير والحيوان

وقد يجد القارئ للبحث أنني لم ألتزم التقسيمات البلاغية وذلك : لأني كنت أريد في البداية ترتيب الآيات حسب أبواب البلاغة من معان، وبيان، وبديع، ولكن بعد التعمق في البحث وجدت أن من الأفضل أن يكون ترتيبها حسب ترتيب ورودها في المصحف الشريف

وقد حاولت قدر جهدي أن التزم المنهج الفني، وأسأل الله التوفيق

الباحث

ا.د كمال كامل محمود صالح

الأستاذ المساعد بكلية البنات الإسلامية في أسيوط

المبحث الأول: الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر السماء:

ومما جاء منه كلمة "وهاجا" في قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا } [النبأ: ١٣]

قَالَ الرَّاغِبُ: الْوَهَجُ حُصُولُ الضَّوْءِ وَالْحَرِّ مِنَ النَّارِ[١].

وقد جاءت هذه الآية على طريق التشبيه ، وإن كان الزمخشري قد تردد في عد هذه الآية من قبيل التشبيه حيث ذكر في كتابه «الْأَسَاسِ: سِرَاجا وَهَّاجا فِي قِسْمِ الْحَقِيقَةِ[٢]. وقال في الكشاف:

وَهَّاجاً متلألئا وقادا، يعنى: الشمس: وتوهجت النار: إذا تلمظت ، فتوهجت بضوئها وحرها.[٣]

والكلام على التشبيه البليغ ، قال الرماني : والتشبيه تشبيهان: تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر، كقولك: ماء النيل مثل ماء الفرات، وتشبيه العرض بالعرض كقولك: حمرة الخد كحمرة الورد، وتشبيه الجسم بالجسم كقولك: الزبرجد مثل الزمرد، وتشبيه شيئين مختلفين بالذات يجمعهما معنى مشترك بينهما: كقولك، حاتم كالغمام، وعنترة كالضرغام، والتشبيه المتفق تشبيه حقيقة، والتشبيه المختلف تشبيه مجاز للمبالغة[٤]

---

١ ـ المفردات في غريب القرآن ص٨٨٥

٢ ـ أساس البلاغة للزمخشري مادة(وهج)جـ٢ صـ٣٥٧

٣ ـ تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٨٦)

٤ ـ النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـ

ففيه إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه، فالغرض من التشبيه تقريب صفة المشبه إلى الأذهان، وزيد ذلك التقريب بوصف السراج بالوهاج، أي الشديد السنا.

والوهاج: أصله الشديد الوهج (بفتح الواو وفتح الهاء، ويقال: بفتح الواو وسكون الهاء) وهو الاتقاد يقال: وهجت النار إذا اضطرمت اضطراما شديدا.

ويطلق الوهاج على المتلألئ المضيء وهو المراد هنا، لأن وصف وهاج أجري على سراج، أي سراجا شديد الإضاءة، ولا يقال: سراج ملتهب. [١]

وخصت الشمس بالذكر هنا لأن : " ذكر السماوات يناسبه ذكر أعظم ما يشاهده الناس في فضائها وذلك الشمس، ففي ذلك مع العبرة بخلقها عبرة في كونها على تلك الصفة ومنة على الناس باستفادتهم من نورها فوائد جمة.

والسراج: حقيقته المصباح الذي يستضاء به، وهو إناء يجعل فيه زيت، وفي الزيت خرقة مفتولة تسمى الذبالة تشعل بنار، فتضيء ما دام فيها بلل الزيت.[٢]

وأصل الجملة هو: وجعلنا الشمس سراجًا وهاجًا، لتكون الشمس مفعول جعل الأول، وسراجًا مفعول ثان، وتم الاكتفاء بالمفعول الثاني، لأن سياق الآيات يدور حول محور تذكير الإنسان بمظاهر الحياة التي. يسرت له في الأرض، ومن بينها السراج والوهاج.

---

١ - التحرير والتنوير جـ٣٠ صـ٢٣

٢ التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤)

ومن العلماء من يرى: أن نصب سِراجاً على المفعولية، ووَهَّاجاً على الوصفية له، وقد رد على من جوز أن يكونا مفعولين للجعل ، على أنه هنا ما يتعدى إليهما، وتعقب بأنه مخالف للظاهر للتنكير فيهما، وإن قيل : السراج الشمس ،وهي لانحصارها في فرد كالمعرفة.[١]

وقد كرر ذكر الأنوار والظّلم في عدة مواضع؛ ولم يجعل لفظة السّراج من بينها إلّا للشّمس، وذلك لشيء حسن وهو أنّ الضّياء والنّور والمصباح وما أشبهها من أسماء ما يستضاء به لا يقتضي شيء منها أن يكون في الموصوف به اتقاد وحمى إلّا الشّمس، فنبّه تعالى على ذلك فيه بأنّ سماه سراجا، ولا تسمى سراجا حتى يكون محرقا، والوهج ضوء الجمر واتّقاده، فلهذا خصّ الشّمس بأن وصفت بالسّراج.[٢]

واستخدام "وهاجا" دون غيرها من الألفاظ هو الأنسب في الدلالة على المعنى المراد ، لأنه بالنظر إلى معانيها في اللغة نجد أنها تجمع بين الضياء ،والإيقاد ،والتلألؤ ،والحرارة ،والنور،فهي يكون منها الضوء الذي ينير لنا الطريق في الحياة لتكتمل به طرق العيش والسعي في الأرض ، والإيقاد الذي ينفع لنا في الحياة من بعث الحرارة إلى درجة معينة يستفيد منها الجسم ، وكذلك نستفيد منها عن طريق الزراعة ، وما ننتج من محاصيل زراعية تختلف في محصولها باختلاف درجة الحرارة صيفا وشتاء ، فلا توجد كلمة يمكن أن تعبر عن هذه الخواص الموجودة في

---

١ - تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٢٠٨)
٢ - الأزمنة والأمكنة (ص: ٣٩)

الشمس سوى كلمة "وهاجا" ولك أن تضع إحدى هذه المفردات :وقادا متلألئا ، مضيئا ، منيرا في هذا السياق الموجودة فيه الآية ، فلن تشعر بسمو المعنى الذي تراه مع كلمة "وهاجا"فالشمس في ذاتها مشتعلة ، وهذا الكون موجود وفق نظام محكم من الله سبحانه وتعالى يدل على قدرته وعلمه ، ومن بين دلائل هذه القدرة ، وهذا العلم هذه المسافة بين الشمس والأرض ، فلو قربت الشمس قليلا ، أو بعدت لاختل نظام الطبيعة في هذه الدنيا

أما عن دلالة التركيب في الآية: فنجد أن الخالق لكل شيء سبحانه يستخدم لفظ جعلنا دون لفظ خلقنا:

لأن كونها سراجا وهاجا حالة من أحوالها، وإنما يعلق فعل الخلق بالذوات، فالمعنى: وجعلنا لكم سراجا وهاجا أو وجعلنا في السبع الشداد سراجا وهاجا على نحو قوله تعالى: ..."تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا [الفرقان: ٦١] سواء قدرت ضمير فيها عائدا إلى السماء أو إلى (البروج) لأن البروج هي بروج السماء.

وقوله: سراجا: اسم جنس فقد يراد به الواحد من ذلك الجنس فيحتمل أن يراد الشمس أو القمر.[1]

ومثلها كلمة ثجاجا في قوله تعالى : {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا } [النبأ:١٤]

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٤)

في هذه الآية ما يطلق عليه علماء البلاغة "السجع المرصع" وهو: "السجع الذي في إحدى القرينتين، أو أكثر مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن، والتوافق على الحرف الآخر المراد من القرينتين هما المتوافقتان في الوزن والتقفية.[١]

فجميع ما في القرينة الثانية يوافق ما يقابله في الأولى في الوزن والتقفية، وأما لفظه فلا يقابله شيء من القرينة الثانية"،مما يضفي حلية على التعبير وجرس جميل

أما عن مفردات الآية: قال المؤرّخ: المعصرات: ذوات الأعاصير، وقال أبو العالية والربيع والضحاك: هي السحاب التي تجلب المطر ولم تمطر كالمرأة المعصر، وهي التي دنا حيضها، قال أبو النجم:

قد أعصرت أو قد دنا إعصارها.

وهذه رواية الوالي عن ابن عباس. قال المبرّد: المعصرات الفاطرات، وقال ابن كيسان:

المغيثات من قوله يَعْصِرُونَ وقال أبي بن كعب والحسن وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان: مِنَ الْمُعْصِراتِ أي من السموات.[٢]

والقراءات الواردة في الآية تعطي معان متعددة في قوله "المعصرات" فقد قرأ عكرمة: بالمعصرات، وفيه وجهان: أن تراد الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، وأن تراد السحائب، لأنه إذا كان الإنزال منها فهو بها، كما تقول: أعطى من يده

---

١ - التعريفات جـ ١ صـ ٧٨

٢ - تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ١١٤)

درهما، وأعطى بيده. وعن مجاهد: المعصرات الرياح ذوات الأعاصير. وعن الحسن وقتادة: هي السماوات.

وتأويله: أن الماء ينزل من السماء إلى السحاب، فكأنّ السماوات يعصرن، أي: يحملن على العصر ويمكنّ منه.

أما عن توجيه قراءة من قرأ: مِنَ الْمُعْصِراتِ وفسرها بالرياح ذوات الأعاصير، والمطر لا ينزل من الرياح فقد تعرض له أيضا العلامة الزمخشري في قوله :

" قلت: الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدرّ أخلافه ، فصحّ أن تجعل مبدأ للإنزال وقد جاء: أنّ الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء إلى السحاب، فإن صحّ ذلك فالإنزال منها ظاهر. فإن قلت: ذكر ابن كيسان :أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات، والعاصر هو المغيث لا المعصر. يقال: عصره فاعتصر. قلت:

وجهه أن يريد اللاتي أعصرن، أي حان لها أن تعصر[١]

أما قوله تعالى "ثجاجا"فقد ورد "عن ابن عباس "ماءً ثَجَّاجاً" قال: منصبّا، وقال ابن يزيد: ثجّاجا كثيرا. قال أبو جعفر: القول الأول المعروف في كلام العرب يقال: ثجّ الماء ثجوجا إذا انصبّ، وثجّه فلان ثجا إذا صبّه صبّا متتابعا.[٢]

أما عن استخدام لفظ ثجاجا : لأنها تعطي معنى الانصباب والكثرة والتتابع في الانصباب[٣] كما أن لفظ المعصرات يحتاج إلى لفظ يتفق معه، ولا يوجد أفضل من لفظ

---

١ - تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٨٦)
٢ - إعراب القرآن للنحاس (٥/ ٨٠)
٣ -ينظر لسان العرب لابن منظور مادة "ثج"

القرآن،لأننا لو قلنا نازلا ، أو هابطا ، أو متتابعا ، فنجد أن هذه الألفاظ لا تخل بفواصل الآي ، لكنها لا تؤدي المعنى المراد منها في الآية، لأن ثجاجًا: يقال ثج الماء. يُثج ُثجوجًا أي : َتدفق، وقد جاءت الكلمة على وزن من أوزان المبالغة: فعال،لإفادة الكثرة.

فلفظة (ثجّاج) فيها تعبير أيضا عن المطر الكثيف، إذ يقال في اللغة الثجُّ يعني: صَبَّ الشيء. يقال ثجَّ فلانُ الماءَ: إذ صَبَّه؛ وماءُ ثَجّاجُ أي صَبّابُ، كثير النزول(١)

كما أن ثجاجا": تعطي إيحاء بجرسها بالماء المنهمر هابطًا من أعلى، واستخدام حرفي الثاء والجيم، للدلالة على الهبوط من الأعلى للأسفل، لأن مخرج الثاء من طرف اللسان الدقيق مع أطراف الثنايا العليا ، ومخرج الجيم من وسط اللسان مع ما يجاذبه من غار الحنك الأعلى،ففي تكوين حروف الكلمة هبوط من الأعلى إلى الأسفل.

ففي هذه الآي سوق المعنى في إيجاز بليغ، وأسلوب بديع، شأن القرآن الكريم في تكرير المعنى على صور شتى من البلاغة الخارقة، والإعجاز المنقطع النظير.

ومن المعاصرين من ذكر أن استخدام المفردة القرآنية يكون أحيانا من قبيل :"تسميته باعتباره وصفاً لنفسه: فيكثر في الاختيار القرآني مثل هذا حيث يتم العدول عن

---

١ - ينظر لسان العرب لابن منظور مادة (ثج)

التسمية الأساسية إلى تسميةٍ تتعلق بفعلٍ خاصٍ يكون هو المقصد الدلالي الذي يحتاجه السياق[١])وعلى هذا يكون "ثجاجا" من قبيل الشرح للمعصرات.

واستخدام السجع المرصع في هذه الآيات يوحي بالتناسق الدقيق، ويشي بالتدبير والتقدير، ويشعر بالخالق الحكيم القدير. ويلمس القلب لمسات موقظة موحية بما وراء هذه الحياة من قصد وغاية،لأن التوافق في السجع المرصع بين القرينتين أو أكثر يوحي أيضا بأن الكون بكل ما فيه متساو عند صاحب القدرة سبحانه وتعالى.

ولأن هذه الآية وردت في سياق البعث وإنكارهم له نجد الطاهر بن عاشور يأخذ من هذه الآية دليلا عقليا على قدرة الله على البعث بعد الموت حيث يقول:

استدلال بحالة أخرى من الأحوال التي أودعها الله تعالى في نظام الموجودات، وجعلها منشأ شبيها بحياة بعد شبيهٍ بموت ،أو اقتراب منه، ومنشأ تخلق موجودات من ذرات دقيقة. وتلك حالة إنزال ماء المطر من الأسحبة على الأرض ،فتنبت الأرض به سنابل حب وشجرا، وكلأ، وتلك كلها فيها حياة قريبة من حياة الإنسان والحيوان وهي حياة النماء ،فيكون ذلك دليلا للناس على تصور حالة البعث بعد الموت بدليل من التقريب الدال على إمكانه حتى تضمحل من نفوس المكابرين شُبَهُ إحالة البعث.....[٢]

---

١ - الأسباب الدلالية لاختيار المفردة القرآنية (ص: ٣)

٢ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٢٥)

وفي هذا أيضا منة على المعرضين عن النظر في دلائل صنع الله التي هي دواع لشكر المنعم بها لما فيها من منافع للناس من رزقهم ورزق أنعامهم، ومن تنعمهم وجمال مرائيهم، فإنهم لو شكروا المنعم بها لكانوا عند ما يبلغهم عنه أنه يدعوهم إلى النظر في الأدلة مستعدين للنظر، بتوقع أن تكون الدعوة البالغة إليهم صادقة العزو إلى الله فما خفيت عنهم الدلالة.

ومناسبة الانتقال من ذكر السماوات إلى ذكر السحاب والمطر قوية.

وأيضا لفظ "سمكها في قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} [النازعات: ٢٧، ٢٨]

في هذه الآية كمال انقطاع، وهو: أن تختلف الجملتان خبرًا وإنشاءً لفظًا ومعنى[1]

أما عن دلالات التراكيب في الآية فنجد "رفع سمكها"إن الله سبحانه وتعالى لما بين في السماء أنه بناها، بين بعد ذلك أنه كيف بناها، وشرح تلك الكيفية ومنها ما يخص هذه الآية التي بين أيدينا وهو ما يتعلق بالمكان وهو أنه تعالى ذكره : رفع سمكها،يقول الإمام الرازي:

"واعلم أن امتداد الشيء إذا أخذ من أعلاه إلى أسفله سمي عمقا، وإذا أخذ من أسفله إلى أعلاه سمي سمكا، فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا أن ما بين الأرض وبينها مسيرة خمسمائة عام، و [قد] بين أصحاب الهيئة مقادير الأجرام الفلكية

[1] - الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ١٠٥)

وأبعاد ما بين كل واحد منها وبين الأرض، وقال آخرون: بل المراد: رفع سمكها من غير عمد. ، وذلك مما لا يصح إلا من الله تعالى.[١]

وقوله سبحانه رَفَعَ سَمْكَها بيان للبناء، أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديدا رفيعا، وجوز أن يفسر السمك بالثخن[٢]فالمعنى جعل ثخنها مرتفعا في جهة العلو. ويقال للثخن سمك لما فيه من ارتفاع السطح الأعلى عن السطح الأسفل وإذا لوحظ هذا الامتداد العلو للسفل قيل له عمق ونظير ذلك الدرج والدرك[٣]

ومن العلماء من ذكر أن رفع سمكها بيان لدحو الأرض وليس للبناء، ورد عليه بقولهم:أنها بيان للبناء، وليس لدحو الأرض، وما بعده دخل في شيء من ذلك، فكيف يعطف عليه ما هو معطوف على المجموع عطف القصة على القصة والمعتبر فيه تناسب القصتين، وهو حاصل هنا، فلا ضير في الاختلاف، بل فيه نوع تنبيه على ذلك، هذا مع أنه يجوز عطف الأرض على السماء من حيث المعنى، كأنه قيل: السماء أشد خلقا والأرض بعد ذلك، أي والأرض بعد ما ذكر من السماء أشد، فيكون وزان قوله: "دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها"، وزان قوله: "بناها رفع سمكها

---

١ - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٤٥)
٢ - ثخن الشيء ثخونة وثخانة وثخنا، فهو ثخين: كثف وغلظ وصلب. لسان العرب (١٣/ ٧٧)
٣ - تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٢٣٢)

فسواها"، وحينئذ فلا يكون قوله: بعد ذلك مشعرا بتأخر دحو الأرض عن بناء السماء.[١]

والسمْكُ: القامة والعلو.

وكان السبب في اختيار "سمكها" دون غيرها من الألفاظ لأنه :قبل التقدم العلمي كان الإنسان يظن أن السماء قريبة، لقربها منه بالنظر المجرد ،ولكن أثبت العلم الحديث بُعد السماء عن كوكب الأرض ، فالصورة هذه توحي بضآلة خلق الإنسان إلى جانب هذه الصورة الكونية الضخمة،المتجاوزة في التعبير لصورة الإنسان، لتحقيق هذا الغرض من التصوير. ويكون جواب الاستفهام معروفا بدون جدال، فهذه السماء أقوى في بنائها وضخامتها من خلق الإنسان، كما أن تصوير السماء بالبناء، يوحي بتماسكها وقوتها، وتناسقها، وهي دليل على قدرة الله، المتجلّية في الكتل الضخمة، كما هي في الكتل الصغيرة، فالإعجاز الإلهي واحد في الاثنين.[٢]

ولمن شاء منهم أن يتصور صعوبة بناء سماء كهذه، وقد ألفوا في المبنى أن يكون بمنال اليد، وأن يشد بما يمسكه ويرفعه فلا ينقض، وأين ذلك كله من تلك السماء، في ارتفاعها الشاهق الذي لا مجال لبلوغه، وفي قيامها على غير عمد ترى أو قوائم تحس![٣]

وأيضا لفظ "انكدرت في قوله تعالى:

---

١ - حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٨/ ٣١٦)
٢ - وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ٢٠٦)
٣ - التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ١٥٠)

{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير: ٢]

وقد جاءت هذه الآية في سياق الإطناب، لأنها تحمل بين طياتها التعظيم والتهويل، ويكون إدراك هذا التهويل من خلال ربطها بغيرها من الآيات السابقة واللاحقة فانظر، إلى قوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ، وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ، وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ، وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ، وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ، وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ، عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ} ٤ ، إذ كان يكفي في الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ} أو غيره مما بعده من الاثني عشر المذكورة، لكنه عددها لتهويل شأن هذا اليوم،فلا يمكن القول إنه توجد إطالة في الكلام ،لأن الإطناب هو الأنسب في الكلام، فكما يذكر الجاحظ:" وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها، وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها. والمعاني المفردة، البائنة بصورها وجهاتها، تحتاج من الألفاظ إلى أقلّ مما تحتاج إليه المعاني المشتركة، والجهات الملتبسة، ولو جهد جميع أهل البلاغة أن يخبروا من دونهم عن هذه المعاني، بكلام وجيز يغني عن التفسير باللّسان، والإشارة باليد والرأس- لما قدروا عليه.[1]

---

١ - الحيوان (٦/ ٣٢٢)

ومعنى "انْكَدَرَتْ" قيل: انتثرت. وقيل: تناثرت.وقيل تساقطت وتهافتت.وقيل: رُمِي بها من السماء إلى الأرض.

وقال آخرون: انكدرت: تغيرت.[1]

فهذه الآية مع غيرها من الآيات تصور"مشهد الانقلاب التام لكل معهود، والثورة الشاملة لكل موجود. الانقلاب الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور. حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب.

وقد ذكر في هذه الآيات اثنا عشر حدثا فستة منها تحصل في آخر الحياة الدنيوية، وستة منها تحصل في الآخرة.

وكانت الجمل التي جعلت شروطا لـ "إذا" في هذه الآية مفتتحة بالمسند إليه المخبر عنه بمسند فعلي دون كونها جملا فعلية ودون تقدير أفعال محذوفة تفسرها الأفعال المذكورة.

وليفيد ذلك التقديم على المسند الفعلي تقوية الحكم وتأكيده في جميع تلك الجمل ردا على إنكار منكريه فلذلك قيل: إذا الشمس كورت ولم يقل: إذا كورت الشمس، وهكذا نظائره.

---

١ - تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (٢٤/ ٢٣٩)

وجواب الشروط الإثنى عشر هو قوله: علمت نفس ما أحضرت وتتعلق بـه الظـروف المشربة معنى الشرط..

وصيغة الماضي في الجمل الثـنتي عشـرة الـواردة شـروطا لــ "إذا" مسـتعملة في معنـى الاستقبال تنبيها على تحقق وقوع الشرط.[١]

كما نلاحظ في هذه الآية التصوير والتشخيص الحي:

فالصور التي يعرضها القرآن يمنحها الحركة والحياة، فتبـدو لـك وكأنهـا متحركـة ناطقة معبرة، اقرأ قوله تعـالى: إِذَا الشَّـمْسُ كُـوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُـومُ انْكَـدَرَتْ (٢) وَإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ (٣) وَإِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ(٤)

تجدها تدفع بالمتلقي إلى التفكير وتدبر العواقب.[٢]

ويناسب في هذه الصورة استخدام لفظ "انكدرت" الـذي لم يسـتخدم مثلـه في القـرآن، لأن الصورة كلها غريبة وجديدة فإنه "يلف الكون ظلام دامس، فالكواكـب تنتثـر لا رابط بينها، ولا اتّساق ينظمها، والشمس ينمحـى ضـوئها، فتصـبح كـرة مظلمـة لا يشع منها نور يضيء أرجاء الكون، وتنكدر النجوم التي كانت تبدو في السماء كأنها مصابيح، فينطمس نورها، ولما فقدت الجاذبية بين الكواكب انتثرت في الجو، ويملأ النفس رعبا أن ترى الشمس والقمر قد اقترنا مجتمعين، لا ضوء لهما ولا بهجة،

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ١٤١)
٢ - الحيوان (٦/ ٣٢٢)

فاستخدام فعل غير مألوف في استخدامات القرآن وهو لفظ "انكدرت" لأن المشاهد نفسها الواردة غير مألوفة تبعث الرعب في قلب الإنسان وعقله فتحقق التأثير النفسي المطلوب في تخويف الإنسان من اليوم الآخر، ودفعه إلى التفكير قبل معصية أوامر الله، لأن الأعمال ستحضر للحساب.[١]

ويلاحظ اعتماد التصوير على الأفعال الماضية المبنية للمجهول، لأنّ هذه الأحداث متحقّقة الوقوع، فعبّر عنها بالماضي، للإيحاء بذلك، كما أن بناءها للمجهول، يتناسق مع جوّ الهول المرسوم في هذه المشاهد، والفعل الماضي الوحيد الذي جاء مبنيا للمعلوم هو عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ للتأكيد على مسئولية الإنسان عن عمله.

وهكذا يتناسق التعبير مع التصوير، ضمن نظام العلاقات، في رسم المشاهد، للإيحاء بالحقائق الدينية.[٢]

وقد جاء على طريق الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (التكوير:١١)

"كشطت" [٣]: أي نزعت فطويت كما يكشط الغطاء عن الشيء يقال كشطت الجلد وقشطته بمعنى واحد إذا نزعته.

وكشطت البعير كشطا نزعت جلده، ولا يقال سلخته، لأن العرب لا تقول في البعير إلا كشطته أو جلدته، وانكشط أي ذهب فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء

---

١ ـ وظيفة الصورة الفنية في القرآن (ص: ٣٣٣)
٢ ـ من بلاغة القرآن (ص: ٢٢٢)
٣ ـ الاستعارة في جزء عم صـ٦٤

عن الشيء.[١]

وقيل: تطوى كما قال – سبحانه وتعالى – ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ (سورة الأنبياء من الآية ١٠٤) فكأن المعنى قلعت فطويت.[٢]

والاستعارة في قوله " كشطت " استعارة للإزالة، فقد شبه إزالة السماء عن موقعها بالكشط، ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

وكشطت صورة من الصور التي تبعث في النفس الفزع من هذا اليوم المرهوب، فكل الظواهر الطبيعية المألوفة لدينا بالحس تأخذ صورا أخرى غير الصور المألوفة، فلا يستطيع العقل البشري مهما أوتي من قدرة على التخيل أن يتخيل أن تزال السماء من فوق رؤوسنا، فنشخص بأبصارنا إلى السماء، فنجدها على هيئة غير المعلومة لدينا، وما الذي سوف يكون مكانها؟. فالاستعارة تدل على أن السماء قد " قلعت بقوة عظيمة وسرعة زائدة، وأزيلت عن مكانها التي هي ساترة له محيطة به، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذي هو كالروح لها كما يكشط الإهاب عما هو ساتر له ومحيط به مع شدة الالتزاق به ... وكشطها هو مثل انكشاف الناس عن العشار وتفرقهم عنها، فمن اعتقد زوالها أعرض عن ربط همته بشيء منها، وناط أموره كلها بربها.[٣]

١- لسان العرب لابن منظور مادة (كشط)
وتفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٤٧٩ وتفسير البغوي جـ ٤ صـ ٤٥٢

٢ - ينظر التبيان في تفسير غريب القرآن جـ ١ صـ ٤٥٢ وتفسير القرطبي جـ ١٩ صـ ٢٣٥

٣ - نظم الدرر جـ ٨ صـ٣٢٩

واستخدام لفظ " الكشط " أعم من لفظ " السلخ " لأنها تعني إزالة الإهاب عن الحيوان الميت.

أما السلخ؛ فلا يقال إلا في إزالة إهاب البقر والغنم دون إزالة إهاب الإبل؛ فإنه يقال كشط، ولا يقال سلخ، والظاهر أن المراد إزالة تقع في يوم القيامة، لأنها ذكرت في أحداث يوم القيامة.

فالظاهر أن السماء تبقى منشقة منفطرة تعرج الملائكة بينهما وبين أرض الحشر حتى يتم الحساب، فإذا قضي الحساب أزيلت السماء من مكانها، فالسماء مكشوطة، والمكشوط عنه هو عالم الخلود.[1]

وعبر بـ " السماء " مفردة: لتشمل ذلك الجنس كله، بما فيه من نجوم، ومجرات، وعوالم أخرى.

وقد جاء على طريق الاستعارة[2] قوله – سبحانه وتعالى – ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ (التكوير١٥: ١٦)

والخنس جمع خانسة، وهي التي تخنس أي تختفي يقال: خنست البقرة والظبية، إذا اختفت في الكناس.

فالله – سبحانه وتعالى – أقسم بالكواكب " أي جميعها فقيل لأنها تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها وفي تفسير

---

[1] - التحرير والتنوير جـ١٥ صـ١٤٩

٢ - الاستعارة في جزء عم (ص: ٦٦)

تكنس بتطلع خفاء، وقيل: لأنها تخنس نهارا وتخفى عن العيون مع طلوعها وكونها فوق الأفق وتكنس بعد طلوعها في المغيب وتدخل فيه، كما تكنس الظباء في الكنس، فتكون تحت الأفق بعد أن كانت فوقه وروي تفسيرها بالكواكب [١]

فقد شبه طلوع الكواكب بخروج الوحشية من كناسها، وشبه تنقل مَرآها للناظر بجري الوحشية عند خروجها من كناسها صباحا، وشبه غروبها بعد سيرها بكنوس الوحشية في كناسها، فكان قوله بالخنس استعارة، وكان الجواري الكنس ترشيح للاستعارة.

ومن العلماء من ذكر الحكمة في القسم بالنجوم في هذه الأحوال الثلاثة فقال: "فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس " أقسم سبحانه بالنجوم في أحوالها الثلاثة من طلوعها وجريانها وغروبها.

٠٠ ولما كان للنجوم حال ظهور وحال اختفاء وحال جريان وحال غروب، أقسم سبحانه بها في أحوالها كلها، ونبه بخنوسها على حال ظهورها، لأن الخنوس هو الاختفاء بعد الظهور، ولا يقال لما لا يزال مختفيا أنه قد خنس، فذكر – سبحانه وتعالى – جريانها وغروبها صريحا وخنوسها وظهورها، واكتفى من ذكر طلوعها بجريانها الذي مبدؤه الطلوع فالطلوع أول جريانها فتضمن القسم طلوعها وغروبها وجريانها واختفاءها وذلك من آياته ودلائل ربوبيته.[٢]

---

١ - روح المعاني للألوسي جـ١٦ صـ٢٦٢

٢ - التبيان في أقسام القرآن جـ ١ صـ ٧٢

وقوله تعالى (فلا اقسم بالخنس) " لا " إما زائدة، وإما أن تكون ردا لقول قريش في تكذيبهم نبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، ثم اقسم – سبحانه وتعالى – بالخنس الجوار الكنس، وذلك لأن هذه الكواكب تخنس في جريها، أي تتقهقر فيما ترى العين، وهي جوار في السماء، وهي تكنس في أبراجها، أي تستتر[١]

المبحث الثاني: الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الأرض ومنها:

قوله تعالى: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات: ٣٠]، وكلمة دحاها هي الأقوى في التعبير، لأنها تعبر عن شكل الأرض وحركتها فقد ذكر القالي:

{وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات: ٣٠] أي بسطها، ودحوت الكرة إذا ضربتها حتى تسير عَلَى وجه الأرض.[٢]

وكان حذف حرف الجر هنا مكملا في إبراز المعنى المراد لأن:

المراد استغراق الزمان باستمرار الدحو، فقال: {بعد ذلك}بحذف الخافض أي المذكور كله {دحاها} أي بسطها ومدها للسكنى وبقية المنافع بعد أن كان خلقها وأوجدها قبل إيجاد السماء غير مسواة بالفعل ولا مدحوة.[٣]

كما يلاحظ ملمح بلاغي آخر هنا وهو التقديم ، حيث قدم الفاعل على الفعل وذلك : لأجل الاهتمام بدلالة خلق الأرض وما تحتوي عليه قدم اسم الأرض على فعله

---

١ - تفسير الثعالبي جـ ٤ صـ ٣٩١

٢ - أمالي القالي (١/ ١٨٢)

٣ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٤٠)

وفاعله فانتصب على طريقة الاشتغال، والاشتغال يتضمن تأكيدا باعتبار الفعل المقدر العامل في المشتغل عنه الدال عليه الفعل الظاهر المشتغل بضمير الاسم المقدم.[١]

{أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) } [الغاشية: ١٧ – ٢١]

واللفظة المفردة في هذه الآيات هو قوله تعالى :"سطحت" وقد جاءت في سياق حسن النسق وهو من البديع وعرفوه بقولهم : " أن تأتى الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات، متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً، لا معيباً مستهجناً، والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه، واستقل معناه بلفظه، وإن ردفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما، ونقص كمالهما، وتقسم معناهما، وهما ليسا كذلك، بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع."[٢]

" ويمكن أن نُدخل تحت عنوان "حُسْنِ النَّسَق" ما يتضمّن مراعاة حالة أنفس المتلَقِّين، لدى ملاحظة المشهد الذي يعرضه المتكلّم في الصورة الكلاميّة.

فمن حسن النَّسَق أنْ تكون الصورة الكلاميّة مطابقة لواقع حال المتلَقِّي لدى إدراكه المشهد في الواقع[٣]

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٨٦)
٢ - تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر (ص: ٤٢٥)
٣ - البلاغة العربية (٢/ ٤٦٣)

وقد تعرض السكاكي لهذه الآية عند حديثه عن أنواع "الجامع" ،وذكر ملمحا لطيفا لهذه الآيات يربطها ببعضها في مراعاة حال المخاطب وسياق الكلام حيث يقول :

"ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن على التنبه لأنواع هذا الجامع، والتيقظ لها لاسيما النوع الخيالي، فإن جمعه على مجرى الألف والعادة بحسب ما تنعقد الأسباب في استيداع الصور خزانة الخيال، وأن الأسباب لكما ترى على حد تتباين في شأن الجمع بين صور وصور.

"وأنه من أهل المدر، أنى يستحلي كلام رب العزة مع أهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل ناسقا ذلك النسق " أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت " لبعد البعير عن خياله في مقام النظر، ثم لبعده في خياله عن السماء، وبعد خلقه عن رفعها، وكذا البواقي، لكن إذا وفاه حقه بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستحلاء، وذلك إذا نظر أن أهل الوبر إذا كان مطعمهم، ومشربهم، وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة- لا محالة- على أكثرها نفعا، وهي الإبل، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين على مأوى يأويهم، وعلى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال.

لنا جبل يحتله من نجيره ... منيع يرد الطرف وهو كليل

فما ظنك بالتفات خاطرهم إليها، ثم إذا تعذر طول مكثهم في منـزل ومـن الأصـحاب مواش بذاك ،كان عقد الهمة عندهم بالتنقل من أرض على سـواها مـن عـزم الأمـور، فعند نظره هذا أيرى البدوي إذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد إلا صورة الإبل حاضرة هناك، أو لا يجد صورة السماء لها مقارنـة، أو تعـوزه صـورة الجبـال بعدهما، أو لا ننص إليه صورة الأرض تليهـا بعـدهن لا، وإنمـا الحضـري حيـث لم تتآخذ عنده تلك الأمور وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه إذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت ظن النسق بجهله معيبا للعيب فيه.[١]

إنّها بهذا الترتيب تقدم لوحةً فنيـة، تُطـابق مـا يحـدث لمشَـاهد واقـع في مثـل هـذا المشهد.

"إنّ العليم الحكيم الخبير يقدّم هذه اللّوحة الفنيَّة، ليلفت نَظَر الْمُشاهِدِ من خلالهـا إلى إدراكِ طائفةٍ من صفاتِ الخالق جلّ جلاله، الّـتي تـدلُّ عليهـا آيـاتُ هـذا المشـهد البديع، ومنها أنَّه عليم حكيم قـدير بـديع السـماوات والأرض، قـد أتْقَـنَ كـلَّ شـيءٍ صُنْعاً.[٢]

أما عن دلالات التركيب في الآية :

الهمزة للاستفهام الإنكاري، إنكارا عليهم إهمال النظر في الحال إلى دقائق صـنع الله في بعض مخلوقاته.

---

١ ـ مفتاح العلوم (ص: ٢٥٦)
٢ ـ البلاغة العربية (٢/ ٤٦٥)

وكان استخدام الفعل "ينظرون" وبصيغة الفعل المضارع في هذا الموقع أفضل من قوله يرون،-مثلا- "لأن النظر طلب الهدى ،..والنظر طلب ظهور الشيء والناظر الطالب لظهور الشيء..ويكون الناظر الطالب لظهور الشيء بإدراكه من جهة حاسة بصره، أو غيرها من حواسه، والنظر بالقلب، ومن جهة التفكر والانتظار التوقف لطلب وقت الشيء الذي يصلح فيه .. ،والنظر أيضا هو الفكر والتأمل لأحوال الأشياء، ألا ترى أن الناظر على هذا الوجه لا بد أن يكون مفكرا، والمفكر على هذا الوجه يسمى ناظرا وهو معنى غير الناظر وغير المنظور فيه... ،والنظر لا يكون إلا مع فقد العلم، ومعلوم أنه لا يصلح النظر في الشيء ليعلم إلا وهو مجهول ..فالنظر تقليب العين حيال مكان المرئي طلبا لرؤيته، والرؤية هي إدراك المرئي، ولما كان الله تعالى يرى الأشياء من حيث لا يطلب رؤيتها صح أنه لا يوصف بالنظر"[1]

كما أن استخدام صيغة المضارع : للدلالة على أن هذا الحجاج ، والدليل العقلي ليس قاصرا على زمن معين ، أو أمه خاصة ، ولكن يخاطب به كل منكري البعث في كل زمان ومكان،ففيه دلالة على التجدد والاستمرار

ويؤكد هذا المعنى استخدام حرف الجر "إلى" دون غيره "تنبيها على إمعان النظر ليشعر الناظر مما في المنظور من الدقائق، فإن قولهم نظر إلى كذا أشد في توجيه النظر من نظر كذا، لما في (إلى) من معنى الانتهاء حتى كأن النظر انتهى عند المجرور ب

[1] - الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٧٥)

(إلى) انتهاء تمكن واستقرار كما قال تعالى:" فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك"[الأحزاب: ١٩] وقوله: إلى ربها ناظرة [القيامة: ٢٣] .

ولزيادة التنبيه على إنكار هذا الإهمال: قيد فعل ينظرون بالكيفيات المعدودة في قوله: كيف خلقت، كيف رفعت، كيف نصبت، كيف سطحت، أي لم ينظروا إلى دقائق هيئات خلقها.

.... وقد عدت أشياء أربعة هي من الناظرين عن كثب لا تغيب عن أنظارهم، وعطف بعضها على بعض، فكان اشتراكها في مرآهم جهة جامعة بينها بالنسبة إليهم، فإنهم المقصودون بهذا الإنكار والتوبيخ، فالذي حسن اقتران الإبل مع السماء والجبال والأرض في الذكر هنا، هو أنها تنتظم في نظر جمهور العرب من أهل تهامة والحجاز ونجد وأمثالها من بلاد أهل الوبر والانتجاع.[١]

ومنها قوله تعالى:{وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا } [الشمس: ٦]

يعني أقسم بالأرض، وبالذي بسطها يعني الرب[٢]

وَقَدِ اخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: {طَحَاهَا} [الشمس: ٦] فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ فِيهَا

وقال آخرون: يعني بذلك: وما بسطها ،وقيل: دحاها(٣)

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٠٥)
٢ - إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٤٦٠)
٣ - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٤/ ٤٣٩)

قال أبو عبيدة: ومعنى «طحاها» بسطها يميناً وشمالاً، ومن كلّ جانب قال ابن قتيبة: يقال: خير طاح، أي: كثير متسع.[١]

جعلت «ما» مصدرية في قوله "وَما بَناها وَما طَحاها وَما سَوَّاها" وليس بالوجه، لقوله "فَأَلْهَمَها" وما يؤدي إليه من فساد النظم. والوجه أن تكون موصولة، وإنما أوثرت على من لإرادة معنى الوصفية، كأنه قيل: والسماء، والقادر العظيم الذي بناها، ونفس، والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها، وفي كلامهم: سبحان ما سخركن لنا.[٢]

أما عن علاقة الآية بما قبلها أنه:

"لما ذكر البناء ،ذكر المهاد فقال: {والأرض} أي التي هي فراشكم بمنزلة محال تصرفاتكم بالعقل في المعاني المقصودة {وما طحاها *} أي بسطها على وجه هي فيه محيطة بالحيوان كله، ومحاط بها في مقعر الأفلاك، وهي مع كونها ممسكة بالقدرة، كأنها طائحة في تيار بحارها، وهي موضع البعد والهلاك ومحل الجمع – كل هذا بما يشير إليه التعبير بهذا اللفظ إشارة إلى ما في سعي الإنسان من أمثال هذا.[٣]

ويلاحظ أن هناك بعض المخلوقات يفردها الله سبحانه وتعالى بالذكر دون غيرها، ويعلل ذلك صاحب روح البيان بقوله:

---

١ - زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٥١)
٢ - تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٥٩)
٣ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٧٣)

"وإفراد بعض المخلوقات بالذكر، وعطف الخالق عليه، والإقسام بهما ليس لاستوائهما فى استحقاق التعظيم، بل النكتة فى الترتيب: أن يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته، ويظفر العقل بإدراك جلال الله وعظمة شأنه حسبما أمكن، فإنه تعالى لما أقسم بالشمس التي هى أعظم المحسوسات شرفا ونفعا، ووصفها بأوصافها الأربعة وهى ضوؤها، وكونها متبوعة للقمر، ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم أقسم بالسماء التي هى مسير الشمس وأعظم منها، فقد نبه على عظمة شأنهما لما تبين أن الأقسام بالشيء تعظيم له، ومن المعلوم أنهما لحركاتهما الوضعية، وتغير أحوالهما من الأجسام المكنة المحتاجة الى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة أحوالهما وأوصافهما إلى كبرياء صانعهما، فكان الترتيب المذكور كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبريائه الصمدية وفيه إشارة إلى سماء الأرواح وأرض الأجساد(١)

ومما يلحق بالأرض التراب كما في قوله تعالى: { فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا} [العاديات:٤] أى بالوادى.

وهذه الآية من السجع مما يكون فصلاه متساويين، لا يزيد أحدهما على الآخر؛ألا ترى كيف جاءت هذه الفصول متساوية الأجزاء، حتى كأنها أفرغت في قالب واحد؟

---

١ - "روح البيان (١٠/ ٤٤٢)

وأمثال ذلك في القرآن الكريم كثيرة، وهو أشرف السجع منزلة؛ للاعتدال الذي فيه.[١]

«فَأَثَرْنَ» ماض مبني على السكون والنون فاعله «بِهِ» متعلقان بالفعل «نَقْعاً» مفعول به والجملة معطوفة على ما قبلها.

والخيل تثير الغبار لشدة عدوها حتى تتوسط الأعداء فتفرقهم وتشتت شملهم. فهذه المشاهد للخيل عند ما تذكر للمؤمنين قبل أن يؤذن لهم بالقتال توجيه لهم وتهيئة للنفوس لتعد نفسها، ولترتفع النفسية المؤمنة ثقة بأن العاقبة لها، وأنها ستخوض هذه الغمار، ويكون لخيلها هذا النشاط وهذه الحركة السريعة التى تربك العدو وتشتته.[٢]

وكان التعبير بالنقع أولى من التعبير بغيرها من الألفاظ : لأنه يتلائم ورسم الصورة المرادة من الآية ، لأن النقع في اللغة معناه: الغبار، والنقع أيضا: اختلاط الأصوات في حرب أو غيرها. قال لبيد:

(فمتى ينفع صراخ صادق ... يحلبوه ذات جرس وزجل)

يعني حربا.[٣]

فهي تعطي الإيحاء بالغبار المتناثر في الجو مع تداخل الأصوات الصادرة من المتقاتلين ،كما أنها تعطي الإيحاء بكثرة القتلى لأن من معانيها كما في لسان العرب

---

١ - ينظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت الحوفي (١/ ٢٥٥)
٢ - تاريخ نزول القرآن (ص: ١٦٤)
٣ -جمهرة اللغة (٢/ ٩٤٣)

: ونَقَعَ الموتُ: كَثُرَ. والنَّقِيعُ: الصُّراخُ. والنَّقْعُ: رَفْعُ الصوتِ. ونَقَعَ الصوتُ واسْتَنْقَعَ أَي ارْتَفَع؛[١]

والباء في به يجوز أن تكون سببية، والضمير المجرور عائد إلى العدو المأخوذ من العاديات ويجوز كون الباء ظرفية والضمير عائدا إلى صبحا، أي أثرن في ذلك الوقت وهو وقت إغارتها.[٢]

غير الأسلوب في قوله: فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا فجيء بهما فعلين ماضيين ولم يأتيا على نسق الأوصاف قبلهما بصيغة اسم الفاعل للإشارة إلى أن الكلام انتقل من القسم إلى الحكاية عن حصول ما ترتب على تلك الأوصاف الثلاثة ما قصد منها من الظفر بالمطلوب الذي لأجله كان العدو والإيراء والإغارة عقبه وهي الحلول بدار القوم الذين غزوهم "كما أن عطف الفعل على الاسم الذي هو "العاديات" ،وما بعده، لأنها أسماء فاعلين تعطي معنى الفعل سراً بديعاً، وهو تصوير هذه الأفعال في النفس وتجسيدها أمام العين، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير والتجسيد بالأسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضي [٣]

والموسيقى هنا فيها خشونة ودمدمة وفرقعة، وهي تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بقوة. وجو الجحود وشدة

---

١ - لسان العرب (٨/ ٣٦٢)
٢ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠١)
٣ - إعراب القرآن وبيانه (١٠/ ٥٥٩)

الأثرة.. فلما أراد لهذا كله إطارًا مناسبًا، اختاره من الجو الصاخب المعفر كذلك، تثيره الخيل الضابحة بأصواتها، القادحة بحوافرها، المغيرة مع الصباح، المثيرة للغبار؛ فكان الإطار من الصورة، والصورة من الإطار، لدقة التنسيق وجمال الاختيار.[١]

المبحث الثالث : الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الليل ومنها:

قوله تتعالى:{ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا } [النازعات: ٢٩]

وأغْطَش: من الغَطَش، وهو ضَعْف في البصر.[٢]

ابن الأعرابي: "غطش، وأغطش، والغطاش" – شدة الظلمة، وقيل: هو أولها وآخرها، وليل أغطش، وغطش، وليلة غطشاء. ابن دريد: ليل غاطس كغاطش[٣]

وحتى تكتمل دلالة استخدام مفردة أغطش لا بد أن نراعى العلاقة بينها وبين الآية التي تسبقها :

"قال محمود: «فان قلت هلا أدخل العاطف على أخرج ... الخ» قال أحمد: والأول أحسن، وهو مناسب لقوله السَّماءُ بَناها، لأنه لما قال أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ تم الكلام، لكن مجملا، ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال. بَناها، بغير عاطف: ثم فسر البناء فقال رَفَعَ سَمْكَها، بغير عاطف أيضا.[٤]

---

١ - التصوير الفني في القرآن (ص: ١٢٦)
٢ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٢/ ٤٣٢)
٣ - المخصص (٢/ ٣٨٦)
٤ - تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٦٩٧)

وكان التعبير بـ"أغطش" أقوى من التعبير بغيرها من المترادفات مثل "أظلم" مثلا ، لأنها: "تقدم لك المعنى في تلافيف حروفها قبل أن تقدمه في معناها اللغوي المحفوظ، وفي الوقت نفسه هي منسجمة مع ما قبلها وما بعدها من الألفاظ، لا ثقل فيها ولا إغراب، وكذلك بقية ألفاظ الآية، فكلها توقع على السمع موسيقا رائعة في منتهى الجمال.[١]

ويلاحظ هنا أن العطف يجمع بين السماء والأرض فقد أضاف الليلَ إلى السماءِ، مع أنه إنما هو في الأرض، لأنه هو: أول ما يظهر عند الغروب من أُفُق السَّماءِ.

وأضاف الليل والنهار إلى السماء لأنهما يجريان فيها، وعلى هذا تكون مجازاً عقلياً، ولأن الليل ظلمتها والنهار سراجها، هاهنا سؤال وهو أن الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس، فقوله: وأغطش ليلها يرجع معناه إلى أنه جعل المظلم مظلما، وهو بعيد، والجواب: معناه أن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره: وحينئذ لا يبقى الإشكال.[٢]

وكان اختيار أغطش مع أنها قريبة في الدلالة اللغوية لأظلم. ، ولكن «أغطش» تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللغة يستقل بها الوزن وجرس الأحرف متآلفة مع بعضها.

---

١ - الواضح في علوم القرآن (ص: ١٦٦)

٢ - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣١/ ٤٥)

" فالكلمة بهذه الدلالة تعبّر عن ظلام انتشر فيه الصمت ، وعمّ فيه الركود ،وتجلّت في أنحائه مظاهر الوحشة. ، ولست بحاجة- لفهم هذه الصورة من الكلمة- إلى وساطة لغة، أو مراجعة قاموس ، وإنما هو إحساس ينبعث في نفسك من طبيعة الكلمة ووقع حروفها.(١)

وفي التعبير شدة في الجرس والمعنى، يناسب الحديث عن الشدة والقوة ، وأغطش ليلها أي أظلمه ، وأخرج ضحاها. أي: أضاءها، ولكن اختيار الألفاظ يتمشى في تناسق مع السياق.. وتوالي حالتي الظلام والضياء، في الليل والضحى الذي هو أول النهار، حقيقة يراها كل أحد ، ويتأثر بها كل قلب ، وقد ينساها بطول الألفة والتكرار، فيعيد القرآن جدتها بتوجيه المشاعر إليها. وهي جديدة أبدا. تتجدد كل يوم، ويتجدد الشعور بها والانفعال بوقعها. فأما النواميس التي وراءها فهي كذلك من الدقة والعظمة بحيث تروع وتدهش من يعرفها. فتظل هذه الحقيقة تروع القلوب وتدهشها كلما اتسع علمها وكبرت معرفتها.(٢)

ومنها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير١٧: ١٨)

وقد جاءت هذه المفردة "عسعس"في سياق الاستعارة ويجوز أن تكون :استعارة تصريحية، أو مكنية.(٣)

---

١ - من روائع القرآن (ص: ١٤٠)
٢ - في ظلال القرآن (٦/ ٣٨١٦)
٣ - الاستعارة في جزء عم (ص: ٦٦)

فإذا قيل: شبه خروج الضياء بخروج النفس ثم حذف المشبه كانت استعارة تصريحية.

أما إذا كان المعنى على أنه إذا بدا الصباح أقبل معه النسيم، فيكون النسيم كالمتنفس له بأن يقال: شبه الصبح بذي نفس ثم حذف المشبه به، وأدعى أن المشبه فرد من أفراده وداخل في جنسه ثم أتى بشيء من لوازمه وهو التنفس على طريق الاستعارة المكنية.

والاستعارة هنا أبلغ لأن " ظهور الأنوار في المشرق من أشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين إخراج النفس مشاركة شديدة" [1]

فالذي سوغ الاستعارة هذه الملاحظة الدقيقة بين المستعار منه والمستعار له أن نفس الحيوان له ريحا يفرج عن القلب انقباضا وانبساطا، وللنسيم ريحا يفرج به.

وقيل: إنه بعد الاستعارة يكون ذلك كناية عن الإضاءة، وجوز أن يكون هناك مكنية وتخييلية بأن يشبه الصبح بماش وآت من مسافة بعيدة ويثبت له التنفس المراد به هبوب نسيمه مجازا على طريق التخييل ٠٠ وقيل تنفس أي توسع وامتد حتى صار نهارا.

و" إذا " ليس معمولا لفعل القسم لفساد المعنى، إذ التقييد بالزمان غير مراد حالا كان أو استقبالا، وإنما هو على ما اختاره غير واحد معمول مضاف مقدر من نحو

---

[1] - البرهان في علوم القرآن جـ ٣ صـ ٤٣٥

العظمة، لأن الأقسام بالشيء إعظام له، كأنه قيل ولا أقسم بعظمة الليل زمان عسعس، وبعظمة النهار زمان تنفس.

وقال عصام الدين: ينبغي أن يجعل تقييدا للمقسم به، أي أقيم بالليل كائنا إذا عسعس، والحال مقدرة أي مقدرا كونه في ذلك الوقت، وصرح العلامة التفتازاني في التلويح في مثله: "إذا" بدل من الليل، إذ ليس المراد تعليق القسم وتقييده بذلك الوقت، ولهذا منع المحققون كونه حالا من الليل لأنه أيضا يفيد تقييد القسم بذلك الوقت.[1]

ويذكر صاحب الظلال مدى جمال التعبير في قوله: " وأكاد أجزم أن اللغة العربية بكل مأثوراتها التعبيرية لا تحتوي نظيرا لهذا التعبير عن الصبح، ورؤية الفجر تكاد تشعر القلب المتفتح أنه بالفعل يتنفس، ثم يجيء هذا التعبير فيصور هذه الحقيقة التي يشعر بها القلب المتفتح، وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى: والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس " ثروة شعورية وتعبيرية فوق ما يشير إليه من حقائق كونية، ثروة جميلة بديعة رشيقة تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر.

فمن تأمل حال الليل إذا عسعس وأدبر، والصبح إذا تنفس وأسفر، فهزم جيوش الظلام بنفسه، وأضاء أفق العالم بقبسه، وفل كتائب الكواكب بعساكره، وأضحك نواحي الأرض بتباشيره وبشائره، فيالهما من آيتان شاهدتان بوحدانية منشئهما

---

١ - روح المعاني جـ ٣٠ صـ ٥٩

وكمال ربوبيته وعظم قدرته وحكمته، فتبارك الذي جعل طلوع الشمس وغروبها مقيما لسلطان الليل والنهار، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كله، فكيف كان الناس يسعون في معاشهم ويتصرفون في أمورهم والدنيا مظلمة عليهم؟ وكيف كانت تهنأ لهم الحياة مع فقد لذة النور وروحه؟ وأي ثمار ونبات وحيوان كان يوجد؟ وكيف كانت تتم مصالح أبدان الحيوان والنبات؟ ٠٠٠فالنور والظلمة على تضادهما متعاونين متضافرين على مصلحة هذا العالم وقوامه فلو جعل الله سبحانه النهار سرمدا إلى يوم القيامة، والليل سرمدا إلى يوم القيامة، لفاتت مصالح العالم واشتدت الضرورة إلى تغيير ذلك وإزالته بضده [١]

واللفظ فيه تلك الإيحاءات كذلك، فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين: عس، عس، وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل ، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى، وهو إيحاء عجيب واختيار للتعبير رائع. . . . . وكل متذوق لجمال التعبير والتصوير يدرك أن قوله تعالى: (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ، والليل إذا عسعس ، والصبح إذا تنفس). . ثروة شعورية وتعبيرية. فوق ما يشير إليه من حقائق كونية. ثروة جميلة بديعة رشيقة ؛ تضاف إلى رصيد البشرية من المشاعر ، وهي تستقبل هذه الظواهر الكونية بالحس الشاعر.[٢]

ومنها:{ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى: ٢]

---

١ ـ في ظلال القرآن صـ٢ ٣٨٤

٢ ـ الملاءمة بين الحروف والمعنى (ص: ٢٠)

نزلت هذه الآية بسبب انقطاع الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكفار : أن الوحي قد قلاه

ومعنى سجى:

غشى بظلامه وستر، من قولهم: رأيت فلاناً متسجياً بثوبه، وقيل: سكن من قولهم: طرف ساج.

وقال بعض المفسرين سَجى معناه أقبل، وقال آخرون: معناه أدبر والأول أصح.(١)

وفي هذه الآية مجاز عقلي حيث أسند السكون إلى الليل، ففي الآية إسناد السجو إلى ضمير الليل غير حقيقي، وإنما المراد أصحابه فهم الذين يسكنون فيه.

ومن العلماء من ذكر أن هذه الآية تندرج تحت باب الاستعارة في قوله: "وفيه استعارة. ومعنى سجى، أي سكن. والليل لا يسكن، وإنما تسكن حركات الناس فيه، فأجرى سبحانه صفة السكون عليه لمّا كان السكون واقعا فيه.(٢)

وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى، الذى يوافى بعد ظلام الليل، المقسم عليه، وهو نور الوحى، الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه: ودّع محمدا ربه، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه.(٣)

---

١ - ينظر غرائب التفسير وعجائب التأويل (٢/ ١٣٥٣)تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٩٣)

٢ - الموسوعة القرآنية خصائص السور (١٢/ ١١)

٣ - الموسوعة القرآنية (٢/ ٣٠٢)

ويلاحظ فيها رقة اللفظ لأن الخطاب هنا موجه للرسول صلى الله عليه وسلم، "فقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف، والرحمة الوديعة، والرضاء الشامل، والشجي الشفيف(١)

أما خصائص التراكيب في الآية فنلحظ أول ما نلحظ حرف الواو،فهذه الواو قد خرجت عن أصل معناها اللغوي الأول في القسم للتعظيم، إلى معنى بلاغي، "هو اللفت بإثارة بالغة أي حسيات مدركة لا تحتمل أن تكون موضع جدل ومماراة، توطئة إيضاحية لبيان معنويات ممارى فيها، أو تقرير غيبيات ليست من الحسيات والمدركات.

فالواو لافتة إلى صورة مادية وواقع حسي، يشهد به الناس، تألق الضوء في ضحوة النهار، ثم فتور الليل إذا سجى وسكن. وتتعاقب الظاهرتان الكونيتان كل يوم دون أن يكون في تواردهما ما يبعث على دهشة وإنكار، بل دون أن يخطر على بال أحد أن السماء تخلت عن الأرض بأن أسلمتها إلى وحشة الليل بعد تألق الضوء في ضحى اليوم نفسه.(٢)

فأي عجب في أن يجئ بعد أنس الوحي وتجلي نوره على المصطفى – صلى الله عليه وسلم –، فترة سكون للوحي، على نحو ما نشهد من سجو الليل بعد تألق الضحى؟ وفيم القول، أو الظن بأن محمدا ودعه ربه وقلاه؟

---

١ - التصوير الفني في القرآن (ص: ١٢٥)
٢ - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص٢٤٨: ٢٥٠)

أما «إذا» فهي : ظرف محض متعلق بأقسم، فهو لا يتضمن معنى الشرط.

"سجى" في اللغة: لها ثلاث معاني، فهي بمعنى سكن، أو اشتد ظلامه أو غطى مثل تسجية الميت.

فكلمة "سجى" جمعت المعاني كلها التي تدل على انقطاع الوحي وسكونه،ومن خصائص القرآن مراعاة العَلاقة بين المقسم به والمقسم عليه؛ كقوله: {وَالضُّحَى، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} .. فالعلاقة هي تشبيه نور الوحي بالضحى وانقطاعه بظلام الليل..

ومن هنا يتبين أن القسم وسيلة من وسائل الإقناع.. يستخدم في وقت الحاجة إليه..(١)

المبحث الرابع :الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الإنسان ومنها:

قوله تعالى:{ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً } [النازعات: ١١]

عِظاماً نَخِرَةً بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة ، فهو تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية له ، ظنوا أن من فساد البدن ، وتفرق أجزائه ، يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقة وليس كذلك ، ولو سلم ان الإنسان هو هذا الهيكل المخصوص ، فلا نسلم امتناع إعادة المعدوم ، فان الله قادر على كل المكنات ، فيقدر على جمع الاجزاء العنصرية ، وإعادة الحياة إليها ، لأنها متميزة في علمه ، وإن

---

١ - الأصلان في علوم القرآن (ص: ٣٤٩)

كانت غير متميزة فى علم الخلق كالماء مع اللبن ،فإنهما وإن امتزجا روحا ، لكن أحدهما متميز عن الآخر فى علم الله ، وإن كان عقل الإنسان قاصرا عن إدراكه .

والنخر البلى يقال نخر العظم والخشب بكسر العين إذا بلى واسترخى وصار بحيث لومس لتفتت[١]

أما عن خصائص التراكيب في الآية: فنحد أن ظرف (أإذا) في قوله:" أإذا كنا عظاما نخرة" هو مناط التعجب وادعاء الاستحالة، أي إذا صرنا عظاما بالية فكيف نرجع أحياء.

"وإذا متعلق ب (مردودون) ونخرة صفة مشتقة من قولهم: نخر العظم، إذا بلي، فصار فارغ الوسط كالقصبة.[٢]

والتعبير بصيغة الماضي في قوله "كنا"فيه دلالة على أن هذه الكينونة أصبحت صفة ملازمة لهم ،وجبلة صاروا إليها للدلالة على استحالة هذه العودة إلى ما كانوا عليه بعد فناء أجسادهم بهذه الصورة

" قالُوا اختيار الماضي هنا :للإيذان بأن صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع ،أي قالوا بطريق الاستهزاء بالحشر تِلْكَ الردة والرجعة فى الحافرة ،وفيه إشعار بغاية بعدها من الوقوع فى اعتقادهم [٣]

---

١ - روح البيان (١٠/ ٣١٨)
٢ - المرجع السابق والصفحة
٣ - روح البيان (١٠/ ٣١٧)

{عظاماً نخرة *} أي هي في غاية الانتخار حتى تفتتت، فكان الانتخار وهو البلى والتفتت والتمزق كأنه طبع لها طبعت عليه، وهي أصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم، وعلى قراءة «ناخرة» المعنى أنها خلا ما فيها فصار الهواء ينخر فيها أي يصوّت.[١]

ولكن يبقى سؤال أن ناخرة تكون أبلغ من نخرة ،لأن حروفها أكثر ، وكثرة المبنيى دلالة على كثرة المعنى ، وقد ذكر البعض في الرد على ذلك : (نخرة وهي أبلغ) قرأ الأخوان وأبو بكر ناخرة بألف والباقون نخرة بدونها كحاذر وحذر، وفعل أبلغ من فاعل وإن كانت حروفه أكثر وكثرة البنية لا تدلّ على كثرة المعنى مطلقاً، والنخر البالي، ويكون بمعنى الأجوف البالي، ويصح أن يراد به ذلك هنا أيضا، والقراءة الأخرى موافقة لرؤوس الآي، ومن العجب ما قيل: إن ناخرة مغير من نخرة للفواصل فتتخذ القراءتان في إفادة المبالغة، فإنه لا معنى له عند التحقيق.[٢]

كما أن نخرة أبلغ: لكونها من صيغ المبالغة، أو صفة مشبهة دالة على الثبوت ، ولذا اختارها الأكثر ، والناخرة أشبه برؤوس الآي ، ولذا اختارها البعض، وقيل النخرة غير الناخرة، إذ النخرة بمعنى البالية، وأما الناخرة فهي: العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون، لا من النخير بمعنى البلى[٣]

---

١ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/ ٢٢٥)
٢ - حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي (٨/ ٣١٣)
٣ - روح البيان (١٠/ ٣١٧)

قال الراغب: النخير صوت من الانف، وسمى خرق الانف الذي يخرج منه النخير منخران، فالمنخران ثقبتا الأنف.

وتأنيث نخرة، لأن موصوفه جمع تكسير، فوصفه يجري على التأنيث في الاستعمال.

هي همزة (إذا) . وقرأ بقية العشرة "أإذا" بهمزتين إحداهما مفتوحة همزة الاستفهام والثانية مكسورة هي همزة (إذا) .[1]

ودلالة الاستفهام هنا يتفق مع سياق الآية،فهو استفهام إنكاري مؤكد للاستفهام الأول، للدلالة على أن هذه الحالة جديرة بزيادة إنكار الإرجاع إلى الحياة بعد الموت، فهما إنكاران لإظهار شدة إحالته.

وقرأ الجمهور نخرة بدون ألف بعد النون. وقرأه حمزة والكسائي وأبوبكر عن عاصم ورويس عن يعقوب وخلف ناخرة بالألف.

ومنهاقوله تعالى:{خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ} [الطارق: ٦]

صورة أخرى من صور الخطاب العقلي لمحاجة منكري البعث ، بأن الذي أنشاهم من العدم قادر على أن يبعثهم من جديد،

وعد بعض العلماء هذه الآية من قبيل "شبه كمال الاتصال" على أساس أنه "استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر، كأنه قيل: مم خلق؟ فقيل خُلِقَ مِنْ ماءٍ إلخ "وظاهر كلام بعض الأجلّة أنه جواب الاستفهام المذكور مع تعلق الجار بينظر. وفيه

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٧٠)

مسامحة، وكأن المراد أنه على صورة الجواب وجعله جوابا له حقيقة على أنه مقطوع عن ينظر ليس بشيء عند من له نظر. والدفق صب فيه دفع وسيلان بسرعة، وأريد بالماء الدافق المني، ودافِقٍ قيل بمعنى مدفوق على تأويل اسم الفاعل بالمفعول. وقد قرأ بذلك زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما. [١]

وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، فقال سيبويه: هو على النسب، أي ذو دفق، وهو صادق على الفاعل والمفعول.[٢]

وقيل: هو اسم فاعل وإسناده إلى الماء مجاز وأسند إليه ما لصاحبه مبالغة ، أو هو استعارة مكنية وتخييلية كما ذهب إليه السكاكي[٣].

ويمكن أن تكون استعارة تصريحية أومكنية، فـ"مصرحة" بجعل دافقا بمعنى دافع ،لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق أي يدفع بعضه بعضا. وقد فسر ابن عطية الدفق بالدفع، فقال:

الدفق دفع الماء بعضه ببعض يقال: تدفق الوادي والسيل إذا جاء يركب بعضه بعضا، ويصح أن يكون الماء دافقا، لأن بعضه يدفع بعضا، فمنه دافق، ومنه مدفوق، وتعقبه أبو حيان : بأن الدفق بمعنى الدفع غير محفوظ في اللغة، بل المحفوظ أنه الصب،

---

١ ـ تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٣٠٨)
٢ ـ نقلا عن أقران في إعجاز القرآن (٢/ ٤٦٥)
٣ ـينظر حاشية الشهاب للخفاجي جـ٨ صـ٣٤٦

ونقل عن الليث أن دفق بمعنى انصبّ بمرة فدافق بمعنى منصب فلا حاجة إلى التأويل.[١]

وأصل التعبير ماء دافق صاحبه، ولكن الدفق أسند إلى الماء وهو مفعول، وذلك على سبيل التجوز في الإسناد، ويفيد هذا التجوز أن الماء لسرعة اندفاعه كأنه دافق، أي كأنه يدفع بعضه بعضًا، وتسمى هذه العلاقة المفعولية أي أن الفاعل المجازي كان أصله مفعولا لهذا الفعل.[٢]

وحين نتأمل صور هذا المجاز نجد كل واحدة منها تثير في النفس خيالا طريفا، من حيث نرى فيه الأحداث، والأفعال مضافة إلى غير فاعليها المألوفة.

والسكاكي يجعل هذه الآية من قبيل الاستعارة بالكناية حيث يقول : "فالذي عندي هو نظم هذا النوع في سلك الاستعارة بالكناية بجعل الربيع استعارة بالكناية عن الفاعل الحقيقي بوساطة المبالغة في التشبيه على ما عليه مبني الاستعارة.[٣]"

فعلى هذا يكون : فاعل دافق المجازي هو الماء، والسكاكي يشبه الفاعل المجازي الذي هو الماء بالفاعل الحقيقي الذي هو الشخص الدافق، ثم يستعير لفظ المشبه أي الماء إلى المشبه به، أي الشخص الدافق، ويئول الأسلوب إلى أنه خلق من صاحب ماء، وهذا فاسد؛ لأن المراد بيان القدرة في خلقه من الماء لا من صاحب الماء.[٤]

---

١ ـ تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٤٦٥)
٢ ـ خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ١٠٦)
٣ ـ مفتاح العلوم (ص: ٤٠٠)
٤ ـ خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ١٤٥)

قال الخطيب القزويني وفيما ذهب إليه "السكاكي" نظر:

... وأن لا تصح الإضافة في نحو قولهم: فلان نهاره صائم وليله قائم؛ لأن المراد بالنهار على هذا فلان نفسه وإضافة الشيء إلى نفسه لا تصح[١]

ويميل إلى هذا ايضا العز بن عبد السلام في جعله هذا النوع من الاستعارة حيث يقول : وقد يسند إلى هذه الأشياء على طريق المجاز المسمى استعارة؛ وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل، كما يضاهي الرجل الأسد في جراءته، فيستعار له اسمه، فيقال في المفعول به: عيشة راضية، وماء دافق.[٢]

ومقصود الآية إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصْلَ خلقته، ليعلم أن الذي خلقه مِنْ ماءٍ دافق قادر على أنْ يعيده.

ووَجْه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن على كلّ نفس حافظاً يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر، حيث تُجازَى كل نفس بأعمالها.

ومنها قوله تعالى:{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: ١٠]

في قوله «وهديناه النجدين» استعارة تصريحية، فقد استعار النجدين للخير والشر، وحذف المشبه وهو الخير والشر وأبقى المشبه به، فإن قلت أما تشبيه الخير بالنجد وهو المرتفع من الطريق فلا غبار عليه لأنه ظاهر بخلاف الشر، فإنه هبوط وارتكاس من ذروة الفطرة إلى حضيض الابتذال قلنا: إنه جمع بينهما إما على سبيل التغليب،

---

١ -الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ١٠٢)

٢ - اللمحات البلاغية في كتاب الإشارة إلى الإيجاز (ص: ٢١)

وإما على توهم المخيلة أن فيه صعودا وارتكاسا وإسفافا، وهذا من أبلغ الكلام وأروعه.

أما عن دلالة انفراد هذا اللفظ في القرآن الكريم ، لأنه ملحوظ فيهما معنى الوضوح والشخوص المستفاد من الدلالة الأصلية للمادة، بحيث يرى الإنسان الطريقين ببصره، ويدركهما بما تهيأ له من هدى الله وإلهام الفطرة.....

واتصال هذه الآيات الثلاث بما قبلها واضح بين: فهذا الإنسان الذي خلقه الله مهيأ لأمانة التكليف الصعبة، مستعداً لمكابدة اختيار أحد الطريقين.

قد زوده – جلت قدرته – بوسائل الإدراك الحسي، وهداه معالم الخير والشر واضحة أمامه شاخصة ماثلة، يراها بعينيه كما يرى النجدين في وجه النهار، ويدركها بما تهيأ له في فطرته من تمييز بين الخير والشر.....[١]

وَهِيَ مَبْنِيَّةٌ عَلَى تَشْبِيهِ الْمَعْقُولِ بِالْمَحْسُوسِ.[٢]

والكلام مسوق مساق التوبيخ على عدم اهتداء هؤلاء للأعمال الصالحة مع قيام أسباب الاهتداء من الإدراك والنطق.

ومنها قوله تعالى:{وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ١٠]

وبين قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها مقابلة.

وفيها سجع مرصع، حيث اتفقت الفواصل مراعاة لرءوس الآيات.

---

١ - التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ١٨٢)

٢ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٥٧)

ومعنى: دساها حال بينها وبين فعل الخير. وأصل فعل دسى: دس، إذا أدخل شيئا تحت شيء فأخفاه، فأبدلوا الحرف المضاعف ياء طلبا للتخفيف كما قالوا: تقضى البازي أو تقضض، وقالوا: تظنيت، أي من الظن.[1]

فقد خلق الله الإنسان مزودا باستعدادات متساوية للخير والشر والهدى والضلال، فهو قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر.

"قد خلق الله الإنسان بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وزوّده بالعقل والإرادة، والحرية والاختيار.

وقد بين الله للإنسان طريق الهدى وطريق الضلال، وأودع في النفس البشرية أصول المعرفة، والتمييز بين الحق والباطل، فمن حمل نفسه على الاستقامة، وصانها عن الشر، فقد رزق الفلاح والسداد. ومن أهمل نفسه واتّبع شهواته، وأرخى العنان لنزواته، فقد خاب، لأنه هوى بنفسه من سموّ الطاعة إلى حضيض المعصية.(٢)

" وقيل إن في زكاها ودساها ضميرا يعود على الله جل وعز أي قد أفلح من زكاه الله وقد خاب من خذله الله وهذا بعيد إذ لا ضمير يعود على من من صلته وانما يعود الضمير على اسم الله جل ذكره ولكن إن جعلت من اسما للنفس وأنثت على المعنى فقلت زكاها ودساها جاز لأن الهاء والألف تعودان على من حينئذ فيصلح الكلام كأنه في التقدير قد أفلحت النفس التي زكاها الله وقد خابت النفس التي خذلها الله

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٠)
٢ - الموسوعة القرآنية خصائص السور (١١/ ٢٧٨)

وأخفاها ومعنى دساها أخفاها بالعمل السيىء أو تكون من بمعنى الفرقة أو الطائفة أوالجماعة فتعود الهاء في زكاها ودساها على من ويحسن الكلام بان يكن الضمير في زكاها ودساها لله جل ذكره[١]

وتكرير قَدْ فيه لإبراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أصالة،[٢] وجعل الزمخشري قوله تعالى "قَدْ أَفْلَحَ إلخ" تابعا لقوله تعالى" فَأَلْهَمَهَا إلخ" على سبيل الاستطراد[٣] حيث يقول :" وأما "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا"، فكلام تابع لقوله: "فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا" على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء"(٤). ورد عليه بقولهم: إن ذلك لما يلزم من حذف اللام، وأنه لا يليق بالنظم المعجز أن يجعل أدنى الكمالين أعني التزكية، لاختصاصها بالقوة العملية المقصودة بالإقسام ،ويعرض عن أعلاهما أعني التحلية بالعقائد اليقينية التي هي لب الألباب وزبدة ما مخضته الأحقاب، ولو سلم عدم الاختصاص فهي مقدمة التحلية في البابين، وأما حذف المقسم عليه، فكثير شائع لا سيما في الكتاب العزيز، وتعقب بأن حذف اللام كثير لا سيما مع الطول، وهو أسهل من حذف الجملة بتمامها، وقد ذكره في: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" [المؤمنون: ١] فما حدا مما بدا،وأن التزكية مرادا بها

---

١ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي (٢/ ٨٢٠)
٢ ـ تفسير الألوسي = روح المعاني (١٥/ ٣٦٠)
٣ ـ الاستطراد، وهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يُقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٤/ ٥٩١)
٤ ـ تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٧٦٠)

الإنماء لا اختصاص لها، وليست مقدمة، بل مقصودة بالذات، ولو سلم فلا مانع من الاعتناء ببعض المقدمات أحيانا لتوقف المقاصد عليها فتدبر.[١]

أما عن دلالات التراكيب في الآية فنجد قوله "قد": إن استخدام قد عند دخوله على الماضي يفيد التحقيق.

وقدم الفلاح على الخيبة لمناسبة للتقوى، وأردف بخيبة من دسى نفسه، لتهيئة الانتقال إلى الموعظة بما حصل لثمود من عقاب على ما هو أثر التدسية.

و"من" صادقة على الإنسان، أي الذي زكى نفسه، بأن اختار لها ما به كمالها، ودفع الرذائل عنها، فالإنسان والنفس شيء واحد، ونزلا منزلة شيئين باختلاف الإرادة والاكتساب.

والتزكية: الزيادة من الخير.[٢]

وكذلك إذا أقسم القرآن بمصنوعات الله -عز وجل- ومخلوقاته، كان في ذلك التأكيد على تنبيه المستمع إلى ما فيها من روعة تدفع إلى التفكير في خالقها: {وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (الشمس: ١ - ١٠) أَوَلَا ترى هذا القسم مثيرًا في النفس أقوى إحساسات الإعجاب بمدبر هذا الكون ومنظم شئونه هذا التنظيم المحكم الدقيق؟ أَوَليست هذه الشمس التي تبلغ أوج

---

١ - روح المعاني للألوسي جـ١٥ صـ٣٦١

٢ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٠)

مجدها وجمالها عند الضحى، وهذا القمر يتلوها إذا غابت، وكأنه يقوم مقامَها في حراسة الكون وإبهاجه، وهذا النهار يُبرز هذا الكوكب الوهاج، ثم لا يلبث الليل أن يمحو سَناه، وهذه السماء وقد أحكم خلقها، واتسقت في عين رائيها كالبناء المحكم الدقيق، وهذه الأرض وقد انبسطت في سعة، وهذه النفس الإنسانية العجيبة الخِلقة التي يتسرب إليها الهدى والضلال في دقة وخفاء، أليس في كل ذلك ما يبعث النفس إلى التفكير العميق في خالقها؟ وأن هذا الخالق لا يذكر هو وما خَلَقَ محاطًا بهذا الإجلال إلا في مقام الحق والصدق؟![1]

يجوز أن تكون الجملة جواب القسم، وأن المعنى تحقيق فلاح المؤمنين وخيبة المشركين كما جعل في سورة الليل [٤، ٥] جواب القسم قوله: إن سعيكم لشتى فأما من أعطى إلخ.

ويجوز أن تكون جملة معترضة بين القسم والجواب لمناسبة ذكر إلهام الفجور والتقوى، أي أفلح من زكى نفسه واتبع ما ألهمه الله من التقوى، وخاب من اختار الفجور بعد أن ألهم التمييز بين الأمرين بالإدراك والإرشاد الإلهي.[2]

والمتأمل في صياغة هذه الآية يجد أنها توطئة وتمهيد للآية الآتية بعد في قوله تعالى: "كذبت ثمود بطغواها [الشمس: ١١]

فإن ما أصاب ثمودا كان من خيبتهم لأنهم دسوا أنفسهم بالطغوى.

---

١ - الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم - جامعة المدينة (ص: ٣٥٤)
٢ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٣٧٠)

ومنها وصف الإنسان بأنه كنود لربه كما في قوله تعالى:

{إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [العاديات: ٦]

توطئة إيضاحية لصورة بيانية أخرى منذرة بغيب غير مشهود ولا مدرك، يفجأ الإنسانَ الكنود لربه، بالبعث يأخذه على غير أهبة أو توقع، فإذا الناس في حيرة وارتباك، قد بعثُروا من القبور أشتاتاً كالفراش المبثوث أو الجراد المنتشر، وإذا كل ما في صدورهم قد حُصّل لم تفلت منه خافية مضمرة في طي الصدور: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}[1]

قَالَ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الِالْتِفَاتِ قِسْمٌ غَرِيبٌ جِدًّا لَمْ أَظْفَرْ فِي الشِّعْرِ بِمِثَالِهِ وَهُوَ أَنْ يُقَدِّمَ الْمُتَكَلِّمُ فِي كَلَامِهِ مذكورين مرتيين ثُمَّ يُخْبِرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا وَيَنْصَرِفُ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنْهُ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الثَّانِي: ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْأَوَّلِ كَقَوْلِهِ: {إِنَّ الْأِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} انْصَرَفَ عَنِ الْإِخْبَارِ عَنِ الْإِنْسَانِ إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى ثُمَّ قَالَ مُنْصَرِفًا عَنِ الْإِخْبَارِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى إِلَى الْإِخْبَارِ عَنِ الْإِنْسَانِ: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} قَالَ وَهَذَا يَحْسُنُ أَنْ يُسَمَّى الْتِفَاتَ الضَّمَائِرِ[2]

والتعريف في الإنسان تعريف الجنس وهو يفيد الاستغراق غالبا، أي أن في طبع الإنسان الكنود لربه، أي كفران نعمته، وهذا عارض يعرض لكل إنسان على تفاوت

---

١ - الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق (ص: ٢٥١)

٢ - بديع القرآن لابن أبي الأصبع صـ

فيه ولا يسلم منه إلا الأنبياء وكمل أهل الصلاح لأنه عارض ينشأ عن إيثار المرء نفسه وهو أمر في الجبلة لا تدفعه إلا المراقبة النفسية وتذكر حق غيره. وبذلك قد يذهل أو ينسى حق الله، والإنسان يحس بذلك من نفسه في خطراته، ويتوانى أو يغفل عن مقاومته لأنه يشتغل بإرضاء داعية نفسه والأنفس متفاوتة في تمكن هذا الخلق منها، والعزائم متفاوتة في استطاعة مغالبته.[١]

المبحث الخامس :الألفاظ: المتفردة في مقام ذكر الحيوان والطير:

ومنها قوله تعالى:{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا} [العاديات: ١]

السورة تبدأ بالواو لافتة إلى ما عهد القوم من غارات الخيل المصبحة، تفجؤهم على غير توقع فلا ينتيهون إلا وقد توسطت الجمعَ فبعثرته وسط نقعها المثار.[٢]

وقد جاءت اللفظة المفردة هنا على أسلوب القسم في سياق الاستعارة في قوله – سبحانه وتعالى – (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً) (العاديات:١)

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى " العاديات " فالبعض ذهب إلى أن المراد بها الخيل، والبعض ذهب إلى أن المراد بها الإبل، وهي على الرأيين تكون استعارة، لأنه على الرأي الأول الذي ذهب إلى أنها الخيل يقال فيها: شبه صوت أنفاس الفرس بالضباح، وهو صوت الثعلب لأنهم كانوا يضعون كمامة على فم الفرس إذا خرجوا للحرب فجرا حتى لا يسمع لها العدو صوتا.

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٠٣)

٢ - الاستعارة في جزء عم (ص: ٨٣)

وعلى من قال إنها الإبل، فهي استعارة أيضا، فإنه يكون استعار الضبح لصوت الإبل، أي من شدة العدو قويت الأصوات المترددة في حناجرها حتى أشبهت ضبح الخيل.

ومن العلماء من جعلها من قبيل الحقيقة إذا أريد بها الإبل على طريق الإبدال، فقد جعلوا ضبحا بمعنى ضبعا، يقال: ضبحت الناقة في سيرها وضبعت، إذا مدت ضبعيها في السير.[١] وقد جمع العلامة القرطبي هذا الخلاف في تفسيره حيث قال:

" والعاديات ضبحا " أي الأفراس تعدو كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة، أي تعدو في سبيل الله فتضبح قال قتادة: تضبح إذا عدت أي تحمحم.

وقال الفراء: الضبح صوت أنفاس الخيل إذا عدون. وابن عباس ليس شيء من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب.

وقيل: كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم، فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة.

وقال أهل اللغة: أصل الضبح والضباح للثعالب فاستعير للخيل، وهو من قول العرب: " ضبحته النار " إذا غيرت لونه ولم تبالغ فيه.[٢]

واستدل من ذهب إلى أنها الإبل بقول الإمام علي:

إنما " العاديات ضبحا " الإبل تعد من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران ...

---

١ - ينظر لسان العرب لابن منظور مادة " ضبع "
٢ - تفسير القرطبي جـ ٢٠ صـ ١٥٣ و١٥٤

كما أن هذه " السورة مكية ولم يكن ثم جهاد ولا خيل تجاهد، وإنما أقسم بما يعرفونه ويألفونه، وهي إبل الحاج إذا عدت من عرفة إلى مزدلفة فهي عاديات، والضبح والضبع مد الناقة ضبعها في السير، يقال: ضبحت وضبعت بمعنى واحد.

وأنشد أبو عبيدة وقد اختار هذا القول:

فكان لكم أجرى جميعا وأضبحت *** بي البازل الوجناء في الآل تضبح

قالوا: فهي تعدو ضبحا، فتوري بأخفافها النار من حك الأحجار بعضها ببعض، فتثير النقع وهو الغبار بعدوها فيتوسط جمعا، وهي المزدلفة.

ولا يخفى ما في فواصل الآيات من وقع جميل على الأذن، وأثر ذلك في توصيل المعنى المراد؛ فالفاصلة هنا مما يطلق عليه المتماثل، وهو: ما تماثلت حروفه في المقاطع، وقد جاء في الآية طوعا سهلا تابعا للمعاني، وقد ذكر صاحب الإتقان أن " أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشئ وأقله كلمتان نحو ٠٠ والعاديات ضبحا[1]

ومنها بطريق التشبيه

قوله تعالى: { وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ } [الفيل: ٣]

وهذه الآية على قول الفراء الآتي بعد تعد من التشبيه حيث يقول :وقوله عز وجل: أَبابِيلَ:

---

١ - الإتقان جـ ٢ صـ ٢٨٠

لا واحد لها مثل: الشماطيط ، والعباديد ، والشعارير ،كل هَذَا لا يفرد لَهُ واحد، وزعم لي الرؤاسي وكان ثقة مأمونًا: أَنَّهُ سَمِعَ واحدها: إِبَّالة [لا ياء فيها] . ولقد سمعت من العرب من يقول: «ضغاث عَلَى إبَّالة» «٧» يريدون: خِصب عَلَى خِصب. وأمّا الإيبالة: فهي الفضلة تكون عَلَى حمل الحمار أَوِ البعير من العلف، وهو مثل الخِصبِ عَلَى الخصب، وحمل فوق حمل، فلو قَالَ قائل: واحد الأبابيل إيبالة كَانَ صوابًا(١)

فإن الإيبالة معناها : الحزمة من الحطب،فتكون تشبيها كأن نقول : طير كالإبالة في الاجتماع.

وخصائص التراكيب في الآية نلمحها في : الواو حرف عطف، وأرسل عطف على "ألم نجعل" ، لأن الاستفهام فيه للتقرير.

وفي «الأبابيل» خمسة أقوال: أحدها: أنها المتفرقة من هاهنا وهاهنا، قاله ابن مسعود، والأخفش.

والثاني: أنها المتتابعة التي يتبع بعضها بعضا، قاله ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل.

والثالث:الكثيرة، قاله الحسن، وطاوس.

والرابع: أنها الجمع بعد الجمع، قاله عطاء، وأبو صالح، وكذلك قال أبو عبيدة، وابن قتيبة، والزجاج: «الأبابيل» : جماعات في تفرقة.

---

[١] - معاني القرآن للفراء (٣/ ٢٩٢)

والخامس: المختلفة الألوان، قاله زيد بن أسلم.[١]

ولا مانع من أن تكون هذه أوصافها مجتمعة، فلا مشاحة بين أن تكون هذه الطيور جاءت متفرقة من هاهنا و ها هنا ، وأنها في هيئتها هذه كانت متتابعة ، وأنها كانت أفواجا كثيرة ، وأنها كانت في جماعات متفرقة ، وأنها كانت مختلفة الألوان.

وقد جاء لفظ القرآن "طيرا" على التنكير وذلك : إما للتحقير فإنه مهما كان أحقر كان صنع الله أعجب وأكبر، وقد ذكر صاحب "نظم الدرر" علة التحقير في قوله:" وأشار إلى تحقيرهم وتخسيسهم عن أن يعذبهم بشيء عظيم، لكونهم عظموا أنفسهم، وتجبروا على خالقهم بالقصد القبيح لبيته فقال تعالى معلماً بأنه سلط عليهم ما لا يقتل مثله في العادة: {طيراً} وهو اسم جمع يذكر على اللفظ، ويؤنث على المعنى، وقد يقع على الواحد، ولذلك قال مبيناً الكثرة {أبابيل *} أي جماعات كثيرة جداً متفرقة يتبع بعضها بعضاً من نواحي شتى فوجاً فوجاً وزمرة زمرة،[٢]

أو للتفخيم كأنه يقول: طيرا وأي طير ترمي بحجارة صغيرة فلا تخطئ المقتل.[٣]

وجملة: "وأرسل عليهم طيرا أبابيل" يجوز أن تجعل معطوفة على جملة "فعل ربك بأصحاب الفيل" [الفيل: ١] ، أي وكيف أرسل عليهم طيرا من صفتها كيت وكيت، فبعد أن وقع التقرير على ما فعل الله بهم من تضليل كيدهم، عطف عليه تقرير بعلم

---

١ - زاد المسير في علم التفسير (٤/ ٤٩٢)
٢ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٢/ ٢٥٦)
٣ - تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٢٩١)

ما سلط عليهم من العقاب على كيدهم، تذكيرا بما حل بهم من نقمة الله تعالى، لقصدهم تخريب الكعبة، فذلك من عناية الله ببيته لإظهار توطئته لبعثة رسوله صلى الله عليه وسلم بدينه في ذلك البلد، إجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، فكما كان إرسال الطير عليهم من أسباب تضليل كيدهم، كان فيه جزاء لهم، ليعلموا أن الله مانع بيته، وتكون جملة: ألم يجعل كيدهم في تضليل معترضة بين الجملتين المتعاطفتين.

ويجوز أن تجعل "وأرسل عليهم" عطفا على جملة "ألم يجعل كيدهم في تضليل" فيكون داخلا في حيز التقرير الثاني، بأن الله جعل كيدهم في تضليل، وخص ذلك بالذكر، لجمعه بين كونه مبطلا لكيدهم، وكونه عقوبة لهم، ومجيئه بلفظ الماضي باعتبار أن المضارع في قوله: "ألم يجعل كيدهم في تضليل" قلب زمانه إلى المضي لدخول حرف "لم" ... فكأنه قيل: أليس جعل كيدهم في تضليل.[1]

---

١ - التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤٩)

بسم الله الرحمن الرحيم

الخاتمة

الحمد لله الذي جعل خاتمة رسالاته الإسلام، وخاتم رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والقائل في كتابه العزيز{خِتَامُهُ مِسْكٌ} [المطففين: ٢٦] والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين

وبعد،،،

فهذه خاتمة بحثي المتواضع حول "الألفاظ المتفردة في سياق الآيات الكونية في جزء عم"

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث من خلال جزء"عم"

١- إن هذا الجزء أغلب سوره مكية، فقد وردت هذه الألفاظ في سياق الأدلة العقلية لدعوتهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد،

٢- التدليل على قدرته تعالى على بعثهم، وذلك من خلال صور حية محسوسة أمامهم، يستطيعون أن يقلبوا وجوههم في السماء،وما فيها من الشمس، والنجوم ،والماء النازل من السماء،والليل الذي يجري فيها،ومن خلال الأرض وخلقها،والإنسان،وكيفية خلقه من ماء دافق،وهديه للنجدين،وقدرته على بعثه من جديد بعد أن يكون عظاما نخرة،وغير ذلك من أدلة ملموسة تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى.

٣- كما أنه من الملاحظ أن هذه الألفاظ ، تحمل أكثر من معنى واحد.

٤- ولكن لا يمكن القول أن تعدد الدلالات في الألفاظ المتفردة للتعمية،ولكن المراد هو تكثيف الصورة من خلال هذه المعاني المجتمعة في اللفظ الواحد.

وبعد فإن كنت قد وفقت فهذا فضل من الله ومنة، وإن كانت الأخرى فحسبي ثواب الاجتهاد

المصادر والمراجع

_ الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)
ت. محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م
_الأزمنة والأمكنة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١هـ)
الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧
– أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)
تحقيق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
_ الأسباب الدلالية لاختيار المفردة القرآنية د.عامر مهدي صالح العلوان
_ الاستعارة في جزء عم مقامات ودلالات د/كمال كامل محمود الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م
_ الأصلان في علوم القرآن: أ. د. محمد عبد المنعم القيعي رحمه الله الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م
_ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) الناشر: دار المعارف الطبعة: الثالثة
_ الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية
_ إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ
_ إعراب القرآن وبيانه محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ)

الناشر : دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية ، (دار اليمامة – دمشق – بيروت) ، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة ، ١٤١٥ هـ

_ آمالي القالي: أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (المتوفى: ٣٥٦هـ) عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي الناشر: دار الكتب المصرية الطبعة: الثانية، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م

_ الإيضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) ت: محمد عبد المنعم خفاجي

الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة

_ بديع القرآن لابن أبي الأصبع

_ البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) ت: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه

_ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المؤلف: عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م

_ البلاغة العربية المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

_ التبيان في أقسام القرآن المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: محمد حامد الفقي الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان

_ التبيان في تفسير غريب القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ) المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ

_ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن المؤلف: عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور

حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي

_ التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

_ **تفسير ابن كثير** تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)
المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

_ **تفسير ابن عطية** : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

_ **تفسير البغوي:** معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) المحقق : عبد الرزاق المهدي الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

_ التفسير البياني للقرآن الكريم المؤلف: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (المتوفى: ١٤١٩هـ) دار النشر: دار المعارف – القاهرة الطبعة: السابعة

_ **تفسير الثعلبي:** الكشف والبيان عن تفسير القرآن المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

_ **تفسير التحرير والتنوير:** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

_ **تفسير روح المعاني** في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

_ **تفسير الزمخشري:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

_ **تفسير الطبري:** جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

_ **تفسير القرطبي:** الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

_ **التفسير الكبير:** مفاتيح الغيب المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

_ **تفسير الكشاف:** الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

_ جمهرة اللغة المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م

_ حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ) دار النشر: دار صادر – بيروت

_ الحيوان المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ

_ خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني : د.محمد محمد أبو موسى الناشر: مكتبة وهبة الطبعة: السابعة

_ روائع البيان تفسير آيات الأحكام المؤلف: محمد علي الصابوني طبع على نفقة: حسن عباس الشربتلي الناشر: مكتبة الغزالي – دمشق، مؤسسة مناهل العرفان – بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

_ زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)

المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

_ الفروق اللغوية المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

_ في ظلال القرآن المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة الطبعة: السابعة عشر – ١٤١٢ هـ

_ لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

_ اللمحات البلاغية في كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز د/كمال كامل محمود ٢٠٠٨

_ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المؤلف: ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ) المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة

_ المخصص المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ) المحقق: خليل إبراهم جفال الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م

_ المزهر في علوم اللغة وأنواعها المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: فؤاد علي منصور الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م

_ مشكل إعراب القرآن المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: د. حاتم صالح الضامن الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٥

_ مفتاح العلوم المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ) ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

_ المفردات في غريب القرآن المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)

المحقق: صفوان عدنان الداودي الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ

_ الملاءمة بين الحرف والمعنى د/كمال كامل محمود بحث منشور في مجلة كلية الآداب بسوهاج

_ من بلاغة القرآن المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (المتوفى: ١٣٨٤هـ) الناشر: نهضه مصر – القاهرة عام النشر: ٢٠٠٥

_ من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل المؤلف: محّمد سَعيد رَمضان البوطي الناشر: موسسة الرسالة – بيروت عام النشر: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م

_ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

_ النكت في إعجاز القرآن للرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

_ الواضح في علوم القرآن المؤلف: مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو

الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨م

_ وظيفة الصورة الفنية في القرآن المؤلف: عبد السلام أحمد الراغب الناشر: فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م